إبـراهيـم معوض

أحـداث ماقـبـل الـرصـف

مجموعة قصصية

الطبعة الأولى يناير 2019

بطاقة الكتاب

عنوان المؤَلَّف : أحداث ماقبل الرصف

المؤلِّف : إبراهيم معوض

التصنيف : مجموعة قصصية

رقم الإيداع : 2131 – 2019

الترقيم الدولى : 978-977-6656-65-9

عدد الصفحات : 78 صفحة

رقم الإصدار الداخلي: 322 – الطبعة الأولى يناير 2019



الإهـــــــداء

إلى قلوب طاهرة حكم عليها بالذهاب فتبعها الخير..

أبي.. أختي..

إلى النهر القابع بالخارج يروي أحداث ما قبل الرصف..

إلي الصفصاف والجميز المختبئ تحت كتل الأسفلت..

إلى أنفاس الطفولة والشباب التي تملأ غرف البيت القديم..

إليكِ يا أم العيال..

يا من كنتِ سندي في تحمل أعباء ما بعد الرصف من أحداث..

إهدي مجموعتي الثانية

(أحداث ما قبل الرصف)

إبراهيم معوض

تخاريف شتوية

(1)

أرغب في الكتابة؛ في داخلي ما ينوء به كاهل الأوراق، أصبحت غير قادر على النوم التام ولا اليقظة التامة، كما أنني أسمع صرخات أبطالي المكبوتة؛ والأيدي ترتعد والقلب موجوع والقلم لا يستجيب.. لأنني لو تركت العنان لألسنتهم كل ما يقال سيحذف بلا شك. .

(2)

في لحن جنائزي أنزلق علي وتر العود والعازف منتشي بموسيقاه؛ تسحقنى الريشة، يتوقف فجاءة لا كي يبكي؛ بل كي يمحو بقايا اللحم المغروس في الصندوق،
ثم يعاود ومدينة رأسي خربها القصف، ولأن الجسد المسحوق هو صاحب تلك الرأس؛ فقد وجب عليه أن يجمع شظاياها من كل مكان والجو صقيع والجلد المجروح عدو البرد، فقرار صائب أن أرجئ ذاك العمل إلى أن يحل الصيف،

أو يهدأ قلب القصف قليلا فيسود الأمن؟ أم أن الانتظار قد يميت الأجزاء الحية؟ وتألف نصف الأذن سماع بقايا اللحن.. ونعتاد الموت.

(3)

طبعات أقدامي على بساط البرسيم الأخضر وبصمات إبهامي علي صفحة السماء؛ أحمي الأفق ببدن مترامي الأطراف، ووجه كالشمع الأبيض، تعجبت بسؤال: من أزال عنك سمار الطمي، رد بسحر: إنه اقترابي من النور، تلفتت بنفس السحر أدور، أنتفض من فوق سريري ما أجمل هذا الحلم، ما أبهي ذاك الوجه ألقيت المرآه أمامي لم أبصر من وجهي إلا كتلا من طين والدمع المسكين تحجر، أين ذهب نباتي الأخضر، أين سمائي المفروشة بعبق السندس والنور، وحين يأست أزلت آثار الحلم بكفي عن وجهي وعن الفراش وعن الوسادة المحشوة بالليف.. ونمت؛ فرأيت الحقيقة تتقافز في عنق الأحلام فأعود صغيراً أقصر من ساق الفأس أضعف من عود البرسيم، فانزويت في ركن الحجرة أتلاشى، تحسست عنقي كي أتأكد أن تفاحة آدم في مكانها وصرخت:

أنا من كنت هناك منذ دقائق، وبصماتي فوق السحب لم تزل، فسمعت الصوت الأفرنجي يداعب حلمي بما معناه، بأن الحلم كان كابوساً ما أقساه، وبأن الماضي قد ولى... عاودت النوم قرير العين بلا أحلام... بلا كوابيس.

أحداث ما قبل الرصف

(1)

هل تبدل الطريق؟ لقد صار ممهداً مرصوفاً، يبدو أن عمال الرصف قد دفنوا ذكريات الطفولة وأحلام الشباب تحت كتل الأسفلت الثقيلة، كان ترابياً يعفر منا الأقدام والثياب في بؤونة، وفي أمطار طوبة نلهو بطينه اللازب وكأنها رحلة فوق سطح القمر، يتحول إلى بحيرة يملؤها البط الآدمي، ونداءات الأمهات تطاردنا من الشرفات كي تبيت بنا في أعشاش دفيئة، في كل مرة كانت تهددني بالضرب إن فعلتها ثانية، وفي كل مرة أعتذر وتسامح، تبدل لي ملابسي وهي ترفع فوقي اللحاف مثل قبة، تدغدغ باطن قدمي وهي تلبسني الجوارب الصوف التي غزلتها على ضوء لمبة الجاز، ودائما تكون كبيرة متهدلة وكل مرة أسأل لماذا؟ وكل مرة تجيب حتى تكبر فيها، أتعجب: أنتِ والصوف والابرة موجودين بعدما أكبر؛ فلما إستباق الأحداث، تبتسم وتزيد من دغدغتها لباطن قدمي وتقول: الصوف والإبرة نعم أما أنا

فربما، فأخاف من ردها وتخشع عيوني للبكاء ولكن الضحك يغلبني، فتلفنى بطرف اللحاف ورأسي على فخذها تعبث بأناملها فى شعري فينسكب الأمان في أحشائي كسائل فأسكن حتى تقص لي حدوتة المعزات الثلاث، فأنام قبل أن يموت الذئب..

(2)

صار الطريق ممهداً مرصوفاً، كبرت أقدامي وصرت أرتدي الجوارب البولستر الجاهزة، ضاعت الإبرة وتشابكت خيوط الصوف وضعف بصر أمي، وطار البط الآدمي فاراً نحو الخليج وأوروبا، والأمهات لم تعد قادرة على جمعهم فالاطباء قد منعوهم من الحركة ومن النظر من الشرفات، تطاولت البيوت مثل المردة الحمراء، وغاضت الجداول وإنحسرت الحقول أمام زحف البيوت، واختبأ الصفصاف والجميز تحت صبات الأسمنت كما اختبأت بقايانا تحت كتل الرصيف؛ أين فانوسي القديم؟ أين حصان الحلاوة؟ الذى كان يكبر معي كل عام، حتى امتطيته وذهبت به إلى مولد الدسوقي وخرج الدراويش من خيامهم يلوحون لي برايات

خضراء؛ حين ظنوني الخليفة؛ وقتها كل الأحلام كانت مباحة، مررت بمدرستي تطاول بنيانها وزاد عدد الفصول، يبدو أنهم أزالوا أشجار الفناء بأسمائنا التى حفرناها علي لحائها بأطراف البراجل، لم يعد لنا أثر على الإطلاق؛ استغلوا فرصة غيابنا وعاثوا في تاريخنا فساداً وتجديداً، صار الجرن موقفاً للسيارات حتى نسي أسمه القديم..

- مات السقا والمسحراتي- قالها السائق بكل بساطة وأنا أسأله عنهما، تمدنت القرية بالمحمول والدش، اختفت السواقي من رؤوس بقايا الغيطان، مات أبي وتغير كل شئ، وكأن منابع الخير قد جفت حياة أشبه بالفاكهه البلاستيكية، أسرعت الخطى كي أدفن رأسي بين أحضان أمي لأعود بذاكرتي معها لأحداث ما قبل الرصف، ضحكت نفس ضحكتها القديمة وضمتني بأذرع واهنة وأنا اطالبها أن تقص على قصة المعزات الثلاث ووعدتها ألا أنام هذه المرة إلا بعدما يموت الذئب..

أحلام هاربة

أصوات مرح الشباب تملأ الحارة، وكلما تنبهوا إلى متابعة الفتيات لهم من خلف زجاج النوافذ العلوية زاد الحماس وإتقدت العزائم، كل واحد منهم يرى نفسه نجماً فى مركزه وكأنه على بساط أستاد القاهرة ويري الكرة الشراب في قدمه وكأنها الساحرة المستديرة بالرغم من أنها ليست مستديرة بالشكل الصحيح، وكلما زاد ضربها بالأقدام يزداد إنبعاجها، نجم يبهر الجميع وفتاة أحلام تتابعه من بين الجماهير العريضة، هذه الجماهير التي ما يستطيع أمن الدنيا كلها أن يمنعهم من مشاهدة فريقهم المحبوب، خرجت عجوز الحارة تطل من شرفتها وفي يدها دن نحاسي قديم، تصرخ بصوت يشبه هدير الأمواج أغلقت على إثره كل النوافذ وغابت الجماهير العريضة تختبئ تحت جلدها ومن فوقها دثار يعلوه دثار، وتفرق النجوم في كل إتجاه خوفاً من إنسكاب المياة الملوثة على وجوههم تاركين الكرة الشراب في منتصف الحارة وكأنها تبكى.

ألوان

يجتمع الرجال أول الليل حول مائدة النرد، تتراقص الدوائر السوداء والبيضاء ينتشي لون لفوز المنتصر وينحسر لون لإنسحاق المهزوم، أمد يدي خلسة أتفقد وريقات النقد في جيبي فقد حان وقت الحساب باغلاق الطاولة على آخر أمل في تعويض خسائري، أقسم في داخلي مثل كل ليلة أن هذه آخر مرة تمس فيها أناملي هذا النرد الخائن، أدس النقود في قبضة النادل فيقبلها ويزج بها في جيبه المكتنز، يطوح بصينية معبأه الأكواب في يده الأخري، يضحك بسماجته المعتاده وهو يقول: تانى أنت اللى هتحاسب.. فأفرج له عن إبتسامة حبيسة، فيردها بنظرة ثلجية ويدور بين الموائد مثل عسكري الإشارة، ألتفت كي أتأبط ذراع صديقى فلم يتبق لي سواه بعدما إنفض عقد الرجال، وبمجرد خروجنا من الباب الزجاجي إلى صخب الشارع قررت أن ألقى بهمومي على صدره وأظنها ثقيلة، فقد أهملتني فتاتي وتزوجت من رجل ثرى، ظل يضحك حتى كاد أن ينكفأ بي قائلاً: فما بالك لو علمت أن إبنتي ستبيت ليلتها بلا دواء ولا طعام، فقلت: لن ألعب الليلة القادمة إلا

باللون الآخر، ثم رفعت هامتي كي يلمح الناس ذهاب لونى فيهون عليهم التمييز بين الفائز والمهزوم..

حياة مؤجلة

يوم من أيام الشقاء إنحنى فيه ظهره على ساق الفأس، يلتقط حبات العرق بين الحين والآخر كى يرطب بها تشققات كفيه، يمنى نفسه بهذه اللحظات التي يطارد فيها أخر شعاع لشمسه وهو يحتضن صفحة هذا النهر، يغازل المياة وتغازله يغطس ويقب يتلوى مثل سمكة، هذه فسحته الوحيدة؛ لحظة سعادة يتبادلها مع النهر، فقد أمست المياة وحدها من تتطلع إلى رجولته وتداعبها، منذ أعوام بعيدة أخذته رجفة شهية حين سمع صوت الغناء ينبعث من بين الزراعات يتردد صداه في جنبات النهر وما أن تلذذت أذنيه و غاب يسبح في جمال اللحن حتى بدت كما رسمها عقله؛ طويلة بيضاء شعرها أطول من جدائل الصفصاف التي تحميه عن عيون الناس إلا أن الرجفة قد عادت إليه بشكل آخر جعلته يهرب عاريا حين رأى أظافرها طويلة حادة كخناجر البربر، ومنذ ذلك اليوم وهو يخشي ظهورها، فما باله هذه الليلة يستجديه يضرب صفحه المياه بكفيه ينادي عليها يعلم أنها تراه من حيث لا يراها، يناشدها أن تخلصه

من الشقاء ويطمئنها بأنه ما عاد يخشي ظهورها حتى وإن طعنته بأظافرها يكفي أنه سيموت عاريا بين سحرها ونحرها..

عندما يريد النائم

ينهض من فراشه نصف نائم يغلق التلفاز فتسكن الحجرة، يفتح النافذة كي ينفذ منها شئ من صخب السوق، يملأ رئتيه بهواء الصباح الممزوج برائحة الخضروات الطازجة، نظر إلى الساعة الحائطية فتبين أنه قد تأخر عن عمله فأسرع يقفز في ملابسه يهرول خارجا بحالته نصف نائم، يطرق الدرجات برفق كي لا تستيقظ صاحبة البيت وتدير عليه اسطوانة كل صباح؛ تلك العجوز التي ما تمنى أحد موته غيرها كى ترتاح من إزعاج تلفازه طوال الليل، مع آخر درجة تفتح باب شقتها وكأنها كانت نائمة خلفه، فهيأ لسانه لكلمه واحدة: حاضر ربنا يخليك لينا يا حاجه.. والأسطوانة تعمل من تلقاء نفسها حتى خرج من البيت وما تعلق بأذنيه إلا نهايتها: أنت ولد بارد بشتمك وبتدعي لي..

فضحك فى خاطره محاولا أن يستعيد ما سمعه: هل حقا كانت تسبني؟ لا يهم طالما أنني لم أسمع.. يتدحرج مثل كرة يتقاذفها البائع والمشتري لينفذ بصعوبة إلى الشارع

الرئيسي ينظر في ساعته وينفخ: مالى والسوق يا ناس فقط يؤخرنى كل يوم

قفز فى الأتوبيس المسرع وما يظنه قد توقف مع أنها محطته وطئت قدمه علي قدم ضخمه فسبه صاحبها ولهزه في كتفه

- مش تفتح يا أعمى..

- حاضر ربنا يخليك لينا..

فضحك الرجل وضرب كفا بكف..

بلغت القلوب الحناجر وإرتطمت الرؤوس ببعضها إثر وقفة مفاجئه، الجميع ناقمون على السائق إلا هو فقد إلتمس له العذر؛ حين أبصر الطريق المزدحم بجماهير الناقمين، فأدرك أنه لا عمل بعد كل هذا التأخير فهبط يهتف معهم حتى تشققت حنجرته..

مشهد ليلى

يركض بغير إتجاه حتى كلت أقدامه، كلما مال نحو ظل طرده الناس، ملابسه الرثة تخيف الجميع ذابت عظامه من كثرة دفعه بعيداً، بعيداً عن ماذا لا يدري، تورمت أصداغه من كثرة رشق الأطفال بالحجارة، لم يتقبله رصيف ولا شارع ولا حارة، ظل يركض على أمل أن يصل إلى أمان القبور، ففيها هدوء وراحة؛ يسكنها أهل الله وأهل الشيطان ولا يتنازعان، شعره الملبد ورائحته الكريهة وسحنته القبيحة تغري أى إنسان أن يفتك به كي يتخلص من ذلك كله، يميل بإطمئنان مجهد إلى أحد القبور، فلابد وأنه اكثر جمالا من ساكنيها، أو هم أكثر منه جمالا لايهم فالابواب المغلقة ستحول حتما دون رشقة بحجارتهم، الماء بجواره لا ينضب والطعام أخضر وأحمر في حقول مجاورة يسرق منه بغير إكتراث، حياته مستقرة حتى تطلع الشمس، ليواصل حربه مع الناس والحجارة حتى زوالها، بعدما شبعت بطنه وإستقرت جلس يستجمع خيوط عقله تشابكت الخيوط بالأسئلة: لما يتحمل كل هذا الأذي؟ وكيف يفر بلا رجعة من

كل نهار مقيت إلى ليل هانئ يدوم؟ وحين لسعته الشمس في جبهته عاود الهروب إلى طرقات التية قبل أن يتوافد عليه زوار القبور وقد تذكر أنه وجد الأسئلة ولم يجد الإجابات..
فظل يركض بغير إتجاة حتى كلت أقدامه..

موعد مع الشمس

أحملق في إلتحام السماء بالبحر كم تمنيت أن أدرك تلك النقطة من العالم، آه لو أستطيع السباحة حتى أعتلي صهوة الموج وقت الغروب كي تسقط الشمس في كفي وأدرك ماهية تلك الكرة الحمراء التى يولد النهار بصعودها من البحر ويأتي الليل بسقوطها فيه، هل حقا تبيت ليلها تغتسل؟ وكيف لا يطفئ ماء البحر لهيبها وقد قال لنا المعلم أنها جمرة عملاقة مشتعلة دوماً؟ وهل وصل المعلم إلى تلك النقطة؟ ولما لا وهو كبير جدا أطول من أبي وله ساعدان يطول بهما نهاية السبورة، متى أكبر وترفعني أقدامي عن الأرض؟ آه انسيت ذلك اليوم حين قال لي أنني اشطر تلاميذه قفزت وقتها في الفناء ولمست السماء بأصابعي ورأيت نفسي أكثر طولا من زملائى وظللت هكذا حتى وصلت البيت ووقفت أمام أبي كى أوازي قامتي عليه فرأيتني أطول منه بكثير فناديت أمي كي تشهد فصدقت على كلامى بإبتسامتها الوردية فضحك أبي ورفعني وظل يقبل وجهى حتى بكيت فما زال شاربه الكث يؤلم خدى، وما غفرت له فعلته إلا بعدما وعدنى

أن يحملني على ظهره غدا ويسبح بى حتى يختفي الشاطئ، بت ليلتي على موعد مع الشمس، ففي الصباح سأقف على ظهر أبي وألمس خدها الأحمر الناعم، هل يا ترى لو قبلها أبي سيؤلمها شاربه العريض، احتضنت عوامتى ونظارة المياة وقررت أن أنام بملابس البحر، أفزعتني صرخة أمي التي جمعت الجيران فجاسوا خلال البيت أغلقوا باب حجرتي علي بعدما دلفت معى جارتنا الحسناء التي تمنيت أن تقبلني يوماً وها هي تقبلني ولكن الخوف من المجهول يطارد أمنياتي ويبدلها سألتها: ماذا يحدث بالخارج؟ فلم تجب إلا بوابل من القبلات والدموع تبلل شفتيها المرتعدتين بالتلاوة والدعاء، احتضنتني ما تبقى من الليل وفي الصباح أخبرتنى أن أبى قد حنث بوعده وذهب كي يقبل الشمس وحده..

هكذا هى الحياة

ما بال الشباب يختفي خلف هالات الشيب؟ قالها وهو يرتشف أسمال فنجان قهوته.. فرد عليه بهدوء سخيف: هكذا هي الحياة .

عاد بذاكرته إلى الوراء يدور بمقدار قوته التي ذبلت يساعده على ذلك مشاهدتها وهي تثبت الملابس على الحبل بمشبك بلاستيكى تفتحه يدها المتقلقلة بصعوبة بالغة، أعاده صديقه من الإبحار بذكر هموم الأولاد ومطالب البيت، فظل يقاومه وكأنه كوكب يجذبه نجمان مستعيرا منه هدوءه السخيف: هكذا هي الحياة.. رفع رأسه كاملة لأعلى يتابعها بشغف بالغ، عادت إليه بهجته حين رأها تثبت تنورتها المدرسية على الحبل؛ تذكر أول يوم غازلها فيه وكيف فر من أمامها قبل أن تصفعه، إنها هي لقد كانت ترتديها في ذلك اليوم، فنظر في وجهه بحدة وأشار لأعلى قائلاً: هذه هي الحياة فضحك حتي زاد سعاله وقال: أتقصد هذه الجدة التي تجفف ملابس حفيدتها؟!

والصبح إذا عسعس

الصبح فوق أجهزة الإنعاش يرفض أن يتنفس، إيقاع رتيب وليل طويل، البرد يقرس الأبدان بذبذبات متتالية، تحدث قشعريرة وإضطراب، الأيدى ترتعد برغم إختبائها فى الجيوب، السماء تبرق وترعد بشكل مستمر يبدو أنها تتأهب للبكاء، قذائف تهطل كعناقيد يوزعها الموت يميناً ويساراً، أدخل بخطى مسرعة احتمى بين الجدران وتحت السقف، ألقي بصري على جسده النائم بكامل هيبته لا ينقصه إلا الروح، وجه منطلق مبتسم وهدوء حد الثبات، شفاه تكاد أن تنطق تطالبنى بسرعة اللحاق، خشية أن يطيب لي المقام فى برك الوحل المتعفن، أطبع على جبينه قبلة سريعة، ألقى عليه نظرة وداع، ثم أقوم مسرعاً لإعداد المكان، يدخل شيخ المسجد فى جلباب أسود فضفاض، يخفى وجهه بلثام ورأسه بوشاح، ينظر إلى نظرة قلقه يطالبنى بالإسراع، يعطره ويغسل له أعضاء الوضوء فقط، يخرج الكفن من بين ثيابه التنكرية ثم يلبسه إياه، يبدل الملابس التنكريه بالعمامة والعباءة يصلى عليه صلاه سريعه التكبير وأنا أقف خلفه

أردد، ثم ينطلق إلى ملابسه التنكرية خارجاً من الباب، وما هى إلا دقائق ويدخل قس الكنيسه يخفى ثيابه الكنسية تحت جلباب أبيض فضفاض، يبدل ملابسه، يتلو الصلوات أمام الجسد المسجى، وأنا أردد خلفه، يباركه ثم يفر خارجاً خلف صاحبه، أنطلق خلفهما يجمعنا الخوف من أن يرانا الناس، فذاك الخوف أشد من صوت الرصاص، وهنا تنفس الصبح بالكاد إندفعت نحو المسجد يجمعنا الشيخ خلفه يصلي باطمئنان أشد، وما أن فرغ من صلاته حتى قام أحد المصلين يسأله عن ذلك الجسد الملقى بلا صلاة ولا دفن، فقال إدفنوه دفن الجيف، أما أنا فلن أصلى عليه .. ثم تلا قوله تعالى (وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِه) وما إن خرجت من الباب حتى سمعت صوت القس يقول:

(أَمَّا الَّذِينَ مِنْ خَارِجٍ فَاللهُ يَدِينُهُمْ فَاعْزِلُوا الْخَبِيثَ مِنْ بَيْنِكُمْ)

فاسرعت خلف الناس كى أهيل عليه التراب..

عبث الجرذان

النوم يداعب الجفون التى اثقلتها الهموم، قام على الفور كى يزيل أثار الخدر من فوقها بحفنه من الماء البارد، يبحث فى سلته المعلقه على الجدار عن كسرة خبز فوجد بقايا من كسيرات رفضتها الفئران إحتفنها وسفها، لصق ظهره للجدار وأقسم أن يظل مستيقظاً مدافعاً عن سلته ضد عبث الفئران، ثم تذكر أنها فارغه فأطلق ضحكات بلا معنى وقرر أن يحنث في قسمه وينام..

المسافر

صوت المؤذن يختلط بصياح الديكة للإعلان عن يوم جديد، يتحرك فيه البشر بأقدام متناثرة فوق الطريق المجهد، تجتهد الخطوات أن تحتمى ببعضها البعض، ولكن الوجل يعود إليها بين البطء والسرعة فلا تلتقي، يدفع الباعة عرباتهم الخشبية لتحدث صريراً مخيفاً على الأسفلت المتكسر، يتدثر السائق الوحيد بعباءة قديمة تخفى بدنه كله فيجلس كهالة سوداء بجوار سيارته العتيقة ينتظر قدوم المسافرين، ينفث دخان سيجارته علها تصب داخل صدره دفئاً مزعوماً، وعلى بعد خطوات منه قطة هزيلة تعبث فى أكوام القمامة علها تجد ضالتها فتعود خائبة بعدما تبعثرها، والمسجد المقابل يفتح نصف الباب بقدر زواره المعتادين، يتحرك بجسد نائم تحمله أقدام متعبة، ولكن الأمل يحدوه أن يغادر تلك القرية، تملأ الأمنيات جوفه وتسيطر على حواسه، يلقى بنفسه فى مقعد السيارة يطرح رأسه للنوم عله يراها فى أحلامه، فقد أعطته وعداً أن تنتظره على أبواب المدينة، حيث العمل والزواج والمال الوفير، يفيق من سطوة أحلامه

على صوت مواء أمام باب السيارة، إنها القطة التى عجزت عن الحصول على رزقها فلجأت للتسول، يفتح حقيبتة يخرج قطعة من طعام ويلقيها كى يتمتع بشكلها وهى تقفز نحوها، تأكلها بشغف، يبدو أن طعام الأم قد راق لها، طرح رأسه مجدداً ينتظر إكتمال المقاعد كى تبدأ الرحلة، بدا الإنتظار ثقيلاً حين بدأ الملل يتسرب إلى نفسه، يطرح رأسه مجدداً، ينتفض بقسوة حتى كاد أن يلفظ أحشاؤه يفيق مضطرباً على صوت السائق الذى حشرجة السهر معتذراً عن المطب المفاجئ وطالبا الأجرة، يصل إلى البوابه العالية المطعمة بالخزف والرسوم، تصطف الفتيات على الجانبين ترحيباً بقدومه، يجول ببصره بينهن بحثا عنها، كل الفتيات جميلات ولكنها ليست بينهن، جمال متقارب روح واحدة في أبدان متعددة بياض أقرب للشمع، وخفة أقرب للنسيم، يتراقصن فى مرح بلافتات الترحيب وأكاليل الزهور، يقف أمام كل واحده يفك طلاسم وجهها الملائكى الصبوح الذى تعلوه إبتسامة مرسومة بريشة فنان، وفى نهايه المطاف يجدها وقد إكفهر وجهها وتغيرت ملامحه، إنتفخت أوداجها وبلغ الغضب منها حد الجنون، تلقى على مسامعه كلمات نابية غليظة، يبدو أنها غارت من الأخريات، يحاول الشرح فلا تتركه يتكلم، يعود ببصره إليهن ليرى أنهن قد تحولن

لكائنات بغيضة، أكثر دمامه منها، يفيق على صوت مواء جديد يفتح عينيه فيجد نفس القطه تطلب المزيد من طعام الأم الشهى فيلقى لها ما يكفيها، ثم يهبط من السيارة التى لم تتحرك بعد ليسلك طريق العودة متعللا للسائق أنه قد نسي شيئا هاماً..

مسافرون على بساط أصفر

الرياح تعوي من حولهم كذئاب جائعة، ذرات الرمال تملأ العيون، الفضاء الصحراوي الممتد يسلمهم إلى فضاء أكثر إتساعا وغربة، كلت الأقدام وملت القلوب، وإتجاة النجاة لم يحدد بعد، تتساقط الأبدان الضعيفة مثل أوراق الخريف، تحلق السواعد القوية المحلاة بالأمل وكأنها تطير، وحال الأطفال كحال آبائهم، ففي جناح كل أب طائر طفل يظنها نزهه، وفي يد كل أب يائس طفل تخور قواه، وكلما سأل الأطفال عن أسباب الفرار رد الأباء بكذبات كثيرة لمحاولة شحن طاقتهم الصغيرة للحاق بحدود تشاد، تحركوا جميعا إثر صيحات أطلقها المذياع في ليبيا ديروا بالكو ع (المصريين)

تركوا الأمتعة والأموال وفروا بجلودهم، تحركت بينهم بأقدام واهنة ونفس أكثر وهنا تحتمي بقبضة زوجها المتهالك يدفعها حب الحياة إلى عبور الصحراء، تضم طفلها الصغير إلى صدرها بأربطة كتف صينية، كلما سقط رجل

قبضت على يد زوجها وكأنها تقوية وكلما سقطت أنثى قبض علي يدها وكأنما يأمرها أن تعيش؛ وهي ما إعتادت أن تعصي له أمرا، فمنذ أن إلتقطها من حضن أبيها وكان يكبرها بسنوات عديدة وهي تعتبره زوجا وأبا فهو حمايتها الوحيدة وزاد هذا الإعتبار مع تغيير الوطن بالغربة، كلما وصلت حرارة جسده إلى يدها أكسبتها القوة والضوء وكلما خفتت فقدت الثقة والأمل وما يعيدها للحياة إلا دقات قلب طفلها الملاصق لصدرها، كذب من قال: أن الطاقة لا تفنى فها هى تفنى بفناء باعثها، ينهار كطود يتهدم يطلق صرخة سقوط كرغاء بعير مصاب، تدوي خلفه صرخاتها المتكررة لتحيل وجيب قلب طفلها إلى نحيب فزع، يقبل نحوها بقايا السائرون لعرض سبل المساعدة، فتقرر بعد تفكير طويل أن تنزع الأحزمة الصينية بالطفل وتسلمهم إياه كي ينجو معهم علي متن طائرة الإغاثة المصرية أمريكية الصنع التي تنتظرهم على الحدود التشادية، أما هي فلا نجاة لها إذا هلك هذا الرجل الذى خفتت أنفاسه..

طويل العمر

بدأ القلق ينساب في اوصالي فإرتعدت، يغذيه صوت المنادي الحديدي معلناً بطبلته الرنانة فرمان الوالي أطال الله عمره أطل من شرفتي مدلياً رأسي كعشرات الرؤوس المدلاه لتبصر المنادي على بغلته العرجاء وخلفه صبيه النحيل، أجول بعيون فاحصة أتمتم مخاطبا عقلي: من علمني أن الكلام يسمع ولا يري؟ ما سمعت كلمة واحدة غير (يا أهل الخان) ولكننى قرأت الفرمان كاملاً في الوجوه الواجمة، يبدو أن المنادي ألثغ ولكنه عملاق والبغلة تئن من ثقل عجيزته، فضحكت وأغلقت الشرفة: يبدو أنه يأكل عليقها.. إزداد القلق كلما تذكرت أنني أحد سكان هذا الخان الكئيب؛ ولابد وأن هذا الفرمان الذى لم أسمعه سيشملني، هبطت مسرعا كي أدرك البغلة العرجاء التى نفخت فيها القوة فطارت حتى تزيد من إرهاقي وقلقي، بالكاد أدركها واشير إلى الصبى المتعلق بذنبها أن يتوقف كي أفهم، فرد بلكنة غير مفسرة: مولانا المنادي خلص خلاص..

فقلت: ولكنني لم أسمع. فقال متهكماً: مش مهم تسمع أكيد هتحس..

تمنيت لو قذفته بحجر فى رأسة تلك التي تشبه ثمرة البطاطا..إستدار الزمان وسخر منى صبى المنادي الألثغ وهو يركب بغلة عرجاء.. عدت أحمل من القلق أطناناً زائدة، هل يا تري زياده في المكوس أم الضرائب أم الأسعار؟ طمئنت أعصابي: لعله خير.. مولانا الوالى لا يأتي إلا بالخير.. ولكن وجوم الناس لا يوحي بهذا..الناس دائما ساخطة، فاقدة للأمل.. لعل الوالي قرر أن يزوج الشباب على نفقة الولاية فوجمت الوجوه العجوزة حسداً وغيرة..عدت أدراجي بوجه غير الذي خرجت به، أحمل بين ثنايا عقلي أصوات عديدة..

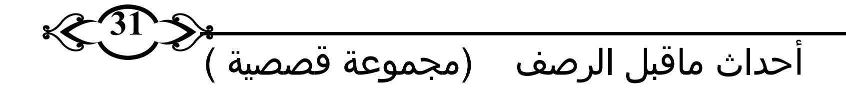
فما عاد يجدي القلق المستمر يا خبر بفلوس..

فتحت المحل ونسقت البضائع..

ـ ألا تخشي ان تكون الضريبة على كل محل مفتوح؟

نثرت رذاذ الماء أمام الباب..

ـ ألا تخشى أن تكون عوائد السقا قد ارتفعت؟



أطلقت البخور في جنبات المحل

- ألا تخشى أن تكون الضريبة على كل روح شريرة تطردها؟

أضحك كركر.. لاتهتم..

العقل زينة ولكنه ثقيل على عنقي..

دخل عم راضي البقال ليشارك الأبالسة إلتهام خلايا عقلي كي يصير فارغاً تماماً..

- سمعت المنادي؟

- سمعت وما فهمت.. مش ديتها فلوس.. اللي تعرف ديته إقتله..

- أعوذ بالله قتل علي طول كده..

فغمغمت في نفسي وتمنيت أن أسأله: هل أنت زوج تلك البغلة العرجاء إنه مثل..

ولكنه إعتدل ينفش ريشه كطاووس: أنا سمعت كويس..

فألقيت بصرى وسمعي علي وجهه مضطراً وكتمت أنفاسي كى لا تزعجه أثناء حديثه فقال: الموضوع وما فيه إن مولانا

الوالي عامل حفله كبيره للمماليك وطالب من كل بيت واحده ست وولد صغير يخدموا على الضيوف.. فعاد الحزن يكسو وجهي ولكننى تذكرت أنى وحيد بلا زوج ولا ولد فتبدل الحزن إلي شماتة أطلقت سهامها عليه: وإنت هتعمل إيه يا شهبندر التجار؟ ههه

فقال: هدفع فلوس ومش هبعت لا حريم ولا عيال واللى تعرف ديته إقتله..

فضحكت.. وأنا أردد طوبى للصعاليك..

المحبرة

العيون معلقة علي باب الخيمة العالية، الترقب يحنط الأجساد حتى بدت وكأنها تماثيل، الطبيب والعراف بالداخل يبدو أنهما لا يعبأن بقلوب في الخارج تكاد أن تتوقف؛ طال الأنتظار، الرؤوس منهكة من كثرة ما بها من أسئلة، ماذا سيطلب الطبيب اليوم من أعشاب نادرة؟ وكم من الشباب ستفقد القبيلة في سبيل الحصول عليها؟ وهل سيشفي الشيخ بعد كل هذا العناء؟ أنفقت كل الأموال، توقفت حركة القوافل، على أمل واحد أن تعود إليه صحته وبعدها ستعوض كل الخسائر، فهو الوريث الوحيد للعقل والحكمة والقيادة..

تحركت بخطوات هزيلة حتى صرت قبالة الكاتب تفحصت جلسته وحركته الدائبة الظاهرة وسط الجمود وكأنه كاهن يتعبد بين أصنامه، تتطوح المحبرة المعلقة بعنقه مع حركات ريشته على القرطاس، حتى تمنيت أن تسكب محتوياتها علي ملابسه وأوراقه؛ ماذا يكتب هذا المجنون؟ فالناس متصلبة كأعجاز النخل الخاوية والأحداث متجمدة مثل أطرافي وصرير قلمه لا ينتهي، لملمت بقايا شجاعتي وسألته، فرد

ببساطة لم اتوقعها: خذ وأقرأ.. فضحكت برغم سخريته مني؛ فأنا أعلم أنه يعلم أن القبيلة كلها لا تملك من يقرأ أو يكتب سواه، فأردت أن أرد إليه الإهانة بضعفها، فقلت: يبدو أن صحة الشيخ لا تعنيك؟ فقال: أنا فقط أهتم بتدوين أفعالكم وأفعال القدر بكم وليس لي هم آخر، فضحكت ثانية من جهله وقلت مخاطباً نفسي: ماذا يفيد ما يكتب إذا ما مات الشيخ وذهب الخير والبركة؟ نحن لا نقرأ يا حمار..

خرج العراف بملابس يبللها العرق، وجه معقود وكأنه مرسوم من حصيلة طلاسمه، وقف قليلاً ثم نظر في النجوم، تبعه الطبيب لا يختلف عنه كثيراً في الهيئة والمنظر إلا أن نظره زائغ وكأنما ينفذ به بين أضلاعنا، ثم أشار نحو الخيمة، قائلاً: أيها الناس ما عاد يجدي الطب ولا السحر، إن الشيخوخة تجفف ما ترطبه العقاقير والتعاويذ، لقد خسرنا الحرب أمامها ونعلن ذلك للجميع، بكت العيون والقلوب، ندم كل من أنفق النفس والمال على أمل زائف.

صرخت النساء: لقد تركنا للضياع والجوع..

إختلطت الأصوات فغاب العقل: هيا مزقوا الساحر والطبيب فما عادت لهما فائدة؛ فما حصدنا من الطب والنجوم إلا الموت، فر الطبيب يركض في طريق السباع، وطار العراف

يمتطي صهوة نجومه، فصرخت فيهم أن يتحلوا بالعقل والهدوء بعدما يقتلوا هذا الكاتب اللعين فإنه طائر النحس..

المنحة

ينظر بإرتباك شديد إلى هذا الجسد المسجى أمامه، فما كان يود قتله حقاً، لقد كان دفاعاً عن النفس، ولكن كيف له إثبات ذلك دون سيل من التحقيقات ؟ دخل عليه فجاءة ووجده يعبث فى أوراقه ويبعثرها، ولكن هذا لايقتنع عقل طفل صغير، فلا يوجد في حجرته البالية ما يدفع أغبى اللصوص إلى إقتحامها، قطب جبهته بكفه، تذكر أنهم قالوا له يوما أن الشبكة العنكبوتية فيها حل لكل أزمة، كيف أتخلص من جثه؟ كتبها ومحاها عده مرات على محرك البحث، أغلق هاتفه وكسره بعدما يئس من الخلاص، الشعور بالذنب يتسلق الجدران من قلبه إلى عقله، كيف إستطاع هذا التعيس أن يصعد السلم المتآكل دون أن يتعثر؟ كيف استطاع أن ينفذ من المدخل المظلم الضيق دون أن يوقظ الجيران؟ حظ أكثر تعاسه ألقاه في حجرته الكائنه أعلى البنايه، لملم بقايا نفسه وإزدرد ريقه مرات متذكراً أن الاطمئنان والخلاص يمنح للنفس من داخلها وليس من الخارج، كانت هذه كلمات أمه العجوز التى منحها الزمن

مقاليد حكمته، كما منحها من قبل بطناً برغم الفقر ولاده، مد يده يزيل قناع اللصوص عن وجهه، تحسس نبض شرايينه فإطمئنت نفسه أكثر، هرع إلى حافظة ثيابه وأخرج سترة بيضاء دس نصفها مكان الإصابة في رأسه، ومحا الدم عن ملامحه بالنصف الآخر، فتبين أنه ذلك المتسول الذى كان يناشده بالأمس أن يمنحه ثمن رغيف خبز لكنه أبى، وبعد محاولات عديدة فى إنعاشه أفاق بصرخة مكتومة خائفة، هدأ من روعه وقال مداعباً: ليتنى أعطيتك كل مالى ليلتها

فقال: ليتنى عرفت عنوان صاحب السيارة الفارهه الذى نهرنى أكثر منك..

فمد يده وأخذ كتاباً من حافظة كتبه وقال هذا كل ما امتلك الآن يمكنك بيعه كى تقتات بثمنه، فقام فرحاً يلعق شفتيه وعيناه معلقتان على الخزانة المكتظة بالكتب..

الجدار

تسمع طرقا من خلف الجدار فترتعد أوصالها وتضطرب أحشاؤها وتشعر أن الخوف يقذف بها فى هوه سحيقة فتقبض يديها بحنان على صغيرها تخاف عليه من المجهول كخوفها على الأمل من اليأس، وخوفها على اليوم من الأمس، ثم تفترض أن الطرقات نابعه من أعماقها وليس لها وجود خارجى، ولكن كيف ؟ وقد بدأ الصوت ينمو ويصل إلى الآذان ..

"بلبلة . إنى أحبك . وهذه رسالتى إليك عبر طرقات على جدار يفصل بيننا، جدار من اليأس كم أتوق إلى هدمه وتفريق لبناته فى الهواء، فهو جدار من الطين ولكنه أقوى من القلاع الحصينة، كم اتمنى أن أكون شعاعاً ينفذ منه ولا يبالى، أعلم أنك نائمة وقد لا تصلك رسائلي، ولكن لا يهم فهناك أمل أن تكوني واقفة خلف الجدار وأنا هنا أمامه أى لولاه لكنا متعانقين فعلاً، وإن كان عائقاً لى فليس عائقاً لك فأنت الأقدر على القبول والرفض "

وما أن سمعت بلبله تلك الاشاره الصوتية المنبعثة عبر طرقات الجدار حتى شعرت بقشعريره تسرى بأوصالها ليست من خوف الأن وإنما شئ آخر عجيب؛ فهو مزيج بين النعم واللا، بين الحب والخوف بين الحياه والموت: ما أرق صوتك يا صادق فقلبى يهفو إليك كما تهفو الافراخ الى اعشاشها، ولكنى لا أملك القبول والرفض كما تظن، فها أنا ذا أجيب بالقبول من داخل أعماقي، نعم إنى أحبك.. وهنا بدأت يداها تنفك شيئاً فشيئاً من فوق أكتاف صغيرها، لأنها تريد أن تسبح وحدها فى سحب السماء وتتلاشى مع جمال اللحظه وحيويه الشعور، فقد عادت إليها حقيقة نسيتها منذ أعوام؛ أنها انثى لها كبد يهفو وقلب يدق: ويل لك أيها الصادق لقد أيقظت حقيقه دفنت، فما أنا إلا جذر يمرق فى الطين لإنماء هذه البراعم كيف أهجره وأطوف بحثاً عن شجرة عملاقه تمتص الماء من الأرض بقوه؟ ويل لك لقد وضعت سكيناً من النور فى قلبى لتضيئة ولكن بعد أن تمزقه وتدميه .واه يا قلبى . هل شعرت أخيراً بالحب . مكبلة أنا يا صادق بقدر لا فكاك منه إلا بالموت .. ثم صدمت رأسها .افيقى يا بلبله . تبا لك أيها الجدار اللعين برغم وجودك يصل الصوت إلي، ليتك كتلك المسافة بين السماء والأرض، بين اليوم والأمس حتى يختنق الصوت فى طياتك وسراديبك

الموحشه.. ليتنى صماء لا اسمعك.. وأفاقت من غفوة أحلامها على سخونة فى قدمها من رأس طفلها النائم والعرق يتصبب من جبينه فرفعته على الفراش وقبلته وداعبت شعره بأطراف اناملها وذهبت فى جوف كهف سحيق من التعب والإرهاق..

إنتحار مكرر

يتحرك تحت جنح الظلام مترنحا مثل شبح، تتلوى أقدامه الطويلة وكأنها سائلة، قنينة الخمر الردئ تتمايل في يده على آخر نغمة سمعها قبل أن يلقى به حراس الحانة خارجها؛ هكذا هم دوما؛ يحترمونه ويفسحون له الطريق طالما أن جيبه ملئ بالمال ثم يلقون به على قارعة الطريق إذا نفذ ماله، وفي كل الأحوال لن يتذكر شيئا؛ فهو مخمور دوما، يتوقف بين الحين والآخر كي يخاطب أطياف الظل التي تلقيها أمامه أعمدة الإنارة؛ يراها في كل مره شخصا مختلفا، فهذه صاحبه البيت تعاركه لتأخره عن دفع الأيجار؛ فيسبها ويسحقها بنعله، وهذا مدير عمله يعاركه لتأخره عن الحضور فيسبه ويسحقه بنعله الآخر، يعطى ظهره للأعمدة المنيرة ليأخذ المنعطف المظلم الذي يحوى سكنه، يسير طويلا على ضوء إعتياده، حتى وصل إلى البيت المتهالك بنهاية الزقاق، نظر إلى أثاث شقته المتناثر على نهر الطريق ولم يتعرف عليه كالمعتاد ، صعد إلي سطوح البيت، شرب آخر قطرة في قنينته ثم القى بجسده نحو الأرض يتهاوى

كحائط منهار حتى فزعت القطط وفرت يمينا ويسارا، فرأى نفسه يستقر على سريره الوثير وبجواره زوجته الحبيبه، وصفير سيارات الشرطة يزعج أحلامهما..

الفرار

صرخات تدوي خلف الباب؛ يرتعد..يدس رأسه بين الوسائد وينكمش في وضعية الجنين.. يدق منبه الإستيقاظ يمد يده في خوف يعطله..ينتظر قليلا كي يتأكد أن الأصوات قد هدأت..يدفع بنفسه داخل ملابسه وبأقدامه داخل حذاؤه..يفتح الباب بتؤدة.. فيجد أن اللصوص قد سرقوا محتويات البيت وقتلوا أمه؛ فيفر غانما بنعمة الحياة...

بعد الخروج

الصخب يملأ الشارع بإيقاع يومى معتاد، طرقات الزهر المنبعثة من المقهى تغفو وتفيق على ضجيج السيارات، أصوات البشر تمتزج مع أصوات الآلات فيصعب تمييزها منفرده، رائحه الخبز التى تنبعث من الفرن المقابل تملأ الأنوف و تقرقر لها البطون الجائعة، عمال التراحيل تتدحرج ككرات ثلجية نحو أعمال الشقاء بالمدن المتاخمة، كانوا لا يجيدون إلا الزراعة والحصاد، ومع إندثار تلك الأعمال ينهضون كل يوم للعمل فى المعمار والتشييد، لم يتبق إلا ساعات قليلة وتخلو القرية من عمالها ويأتى ذلك متزامناً مع بيع آخر رغيف وإغلاق الفرن، وبعدها تتحول القرية إلى كتلة خرساء إلا من صوت الزهر وطرقات الدومينو، ينظر إلى أبيه الذى يبدو أمامه في زيه الداخلى الملتصق كعملاق يستجدي منه قطعة نقدية بنظرات ذليلة، يمنحه إياها بالكاد وكأنه يقتطعها من جلده، يطير فرحاً بها يقفز خارجاً من باب البيت بعدما يطبع على يده قبلة سريعة، ينفض الغبار عن حذاءه المدرسى ويرتديه، يجذب أحزمة الحقيبة بين الحين

والأخر ليخفف من ثقلها عن كتفه الصغير، ينصت إلى كلمات الأب المنسابة خلفه توصيه بأن يشترى الطعام ولا يبدد كل المصروف فى العسلية، فيرد بتلقائية معتادة: أفعل يا أبى.. يشق الصفوف بجسده الحاد كى ينتظم فى مكانه وسط الطابور، يسمع كلمات المدير المعتادة عن النظافة والأخلاق والآداب، يسبح بخياله الصغير لأبعد من ذلك ولربما لأقرب، يقارن بذهنه المرهق بين طعم العسلية ومنفعة الطعام، ولكن وعده الذى قطعه للأب يسرق منه متعة الإختيار، صراع ينشب داخله بين ما يبثه المدير من قيم وما يعتمل في نفسه من رغبات، يفيق على صوت المدير يرتفع صاخباً بتحية العلم، يردد بحماس، يتحرك بين الأطفال كحبة فى مسبحة ناسك، يضع جسده بين مئات الأجساد الصغيرة كى يستقر به المطاف على مقعد خشبى متآكل، يهدأ الصخب بدخول المعلم قاعه الدرس، يخرج الدفتر والقلم، وبصوت عال يقول : زرع.. حصد.. يردد خلفه بعنف ويلوي شفتيه ساخراً، ثم يقرر أن يشترى العسلية بمصروفه كاملاً .. ثم يقول للأب أنه اشترى طعاماً كثيراً..

المخطوف

وقفت فى نقطه بطول أقدامى وعرضها بعقل شارد وشعور متبلد

أتفحص وجوه الماره علنى اهتدى فتزيد حيرتى كأننى فى رحله السقوط فى بئر التيه . الملابس ، السيارات واللافتات كأنها تهدينى إلى طريق الضلال . تمر السيارات بماركات قديمه أعرفها أو أسمع عنها وأخرى حديثه لا أسمع عنها شيئا وكذلك الملابس خليط من ملابس المماليك والعثمانيين والعجم والعرب ومن لا وصف لها .

و اللافتات تحمل نفس الخليط .

تلقفت هاتفى الخلوى لأحدد أطر المكان والزمان على محرك البحث فلم أجد له أثرا كيف لا أعرف أين أنا وفى نفس الوقت أشعر بدفئ المكان وكأنه مكان مولدى

أبصرت طيفها يمر أمامى على الطوار المقابل . حاولت العبور إليها بلا جدوى فالخوف يقيدنى فأشرت إليها كى تعبر هى فلم تعرنى إهتماما أو يبدو أنها لم ترنى وسط سحب الدخان الكثيفه التى تغطى المكان .

فوقفت فى نقطه بطول أقدامى وعرضها بعقل شارد وشعور متبلد..

الزلزال

يتابع الأخبار بنهم شديد؛ فثمة زلزال مرتقب أكدت كل المراصد أنه سيقع خلال أيام قليلة، يجمع العمال من كل أحياء المدينة؛ لترميم هيكل البيت كي تمر الأزمة بسلام، يغض الطرف عن أجورهم المرتفعة متعللا بسياسة العرض والطلب، فقد صار عمال البناء أهم شخصيات الدنيا هذه الأيام، ولكن حفنة الأسمنت التي يضعونها بجوار الحائط الخارجي تخفف عنه القلق، الخوف يسيطر على الجميع، النشاط يملأ الحواري الفقيرة والشوارع الثرية، خلية نحل هائلة؛ عمل متصل ليل نهار، المرأه السمراء تتكوم في مدخل العمارة حاضنة أطفالها قريبة من البوابة الحديدية؛ كي يكون الفرار ميسراً، أطفال الشوارع يهاجرون من تحت الكوبرى الكبير؛ خوفا من سقوطه إذا حل الدمار، يجلسون على الأرصفة المكشوفة ترتعد أبدانهم من البرد، أصحاب الفيلات الفاخرة تملأهم الثقة في أساسات بيوتهم؛ ولكن الإحتياط جعلهم يضربون خيام السفاري في حدائقهم و يقيمون فيها، بعدما إنتهت أعمال الترميم أخذ يطوف بين

سكان المنطقة الجالسين على حواف الطرقات، يوزع عليهم ما تبقى في خزينه من طعام؛ لابد أن يقدم الخير الكثير لكل الناس فقد ينقطع عمله بعد أيام، الإنتظار والقلق يحولان دون التلذذ بطعام أو شراب؛ فقد تأخر الخبراء كثيراً؛ ها قد تركوا لهم البيوت ورمموها كما طلبوا، العيون تبرق وكأنها تجرهم من مكاتبهم، حتى وصلوا بسيارات مغلقة تحوي أجسادهم النشيطة وحقائبهم المعدنية الكبيرة؛ أفسحوا لهم الطريق، إندفعوا بعقل ودراية يتنقلون من بيت إلى بيت لمعاينة قدرته على تحمل الدمار القادم، تقوم من بين الناس كعود لبلاب تقوس غصنه، تحاول الدخول إلى بيتها يمنعها الجمع المحتشد، فتصرخ فيهم فلا يستجيبوا، وبعد محاولات بين المنع والتقدم تركوها بعدما قالت لهم: ليس في العمر أكثر مما مضى.. يشيعها بعيون تكسوها الشفقة وقد تركت بقايا طعامها على الرصيف ودخلت بيتها قبل أن يأذن الخبراء، وما هي إلا دقائق وعادت بنشاط عصبي يمتزج ببكاء وصراخ، تخبرهم أن الخبراء قد نهبوا محتويات البيت الثمينة وملأوا بها حقائبهم، هرولت الأقدام تندفع بهمجيه يميناً ويساراً وكأن أصحابها قد فقدوا بوصلة العقل يلقي كل منهم بالتهمة على الآخر حتى لاذ اللصوص بالفرار، ولم ينج منهم إلا أطفال الشوارع يضحكون..

السيارة الحمراء

ماذا حدث ؟ سؤال يطرحه عقله الغارق فى هول اللحظة.. فيرى الكون ينقلب إلى ألوان شتى ويرى نفسة يتضاءل فى بحر متلاطم من الأسئلة والأفكار كبحار فقد البوصلة في عرض البحر، يلقى بدموع غزيرة لا مبرر لها تنساب خلف السيارة وكأنما تلاحقها مع نظرات شائهة تمتزج بالشفقة والإمتعاض، فلا يرى إلا علامات إستفهام عملاقه بعدما تشوهت الرؤيه خلف غبار السيارة، ماذا يحدث تحت سماء العالم؟ الكون المتسع بطوله وعرضه يضيق والشمس تغيب ولا إدراك لشئ، خلق الكون لنا ونحن أضعف من فيه، وكأننا استلمنا حقيبة كبيرة بها هدية لا محالة وما نفتح حتى نجد حقيبة اخرى وهكذا حتى نموت مسرحية هزلية سخيفة، هى لعبه الكون.. كاد أن يموت غرقا في عرقه وأوجاعه من هول النظرة التى القتها عليه وهى تلقى بجسدها فى السيارة؛ نظرة طويلة قصيرة مليئة بالتحدى والسخرية؛ كأنما تقول أنا حره يا من رفضت حبي أنا بدونك أعيش كما أريد، ظل واقفا تماما كذلك التمثال الذى

يقبع فى الميدان عن يمينه ولكن خياله يغرق فى قبح النظرة ودمامة المشهد بل وقبح صاحبتها فلأول مره يراها قبيحة وجه أسود قاتم وأنف كبير وبوز ممطوط كبوز أرنب برى، وجه مخيف.. رأى أن قطع الزجاج فى الكون تتحطم والدم يسيل والسياره الحمراء تصب بقايا لونها لتصبغ العالم - والفتاه قبيحه- وإمتداد الأفق أمامه مبعث الشقاء المعانق للموت، إحساس رهيب أن تموت الروح النابضه بالخلود وترى الظلام يطفئ النور والموت يلتهم الحياه؛ وكأنما الشمس تلقى على الأرض دماء عفتها تزداد الشفقة على الزجاج المكسور والدم المسفوح وبقايا السياره تتناثر، فأفاق على صوت القطار يطلق صفيره فعلم انه سيظل ينطلق بسرعه الحياة هكذا حتى يموت آخر بشرى بلا رحمه تحت عجلاته الحديدية ويده قابضة على آخر حقيبة.. والزجاج يتحطم والدم يسيل..

المطر

بدا المكان فسيحا برغم ضيقة؛ يبدو أن الأبعاد والمسافات هي وهم كسائر أوهام حياتنا ألتقط الهواء وأملأ به صدري فتسحب النافذة غيره من الشارع الذى بدا هو الآخر متسعا عن كل يوم، الأشياء تتغير كما نريد حسب إحساسنا ومزاجنا لحظة من المرح النفسي أحالت شقتي الكئيبة إلى واد بذي زرع، أوراق النعناع على حائط شرفتي أشد بهجه من حدائق بابل، عجبا لهذه النفس البشرية قادرة علي صنع الحياة أو محوها حسبما شاءت، طالما أننا قادرون على إيجاد المسرات من العدم فلما هذا الإصرار على الكراهية والحقد، تحلق العصافير في سماء المحبة بلا تنافس ولا صراع إلا على سبيل المزاح، قرأت الرسالة مرات عديدة ومع كل مرة أطوف حول أضرحة السعادة كناسك هائم " سأكون معك بعد يومين " أربع كلمات أعادتني شابا ألقيت العصا فلا حاجة لي بها، ما عدت أخشى مقابلة النسيم البارد بصدرى أعب منه بلا إكتراث؛ يجب أن تراني كما تركتني كي لا تشعر بالأسى كفاها تجارب مريرة، عدت إلى الأريكة ممنيا

نفسي بقرب إنتهاء وحدتي، وما أن إستقرت جثتي السعيدة فوقها حتى طرقت الهواجس رأسي كم انا أناني، سعيد بشقاء إبنتي وعودتها لي بعد زواج فاشل، دق جرس الباب إلتقطت العصا بعدما إرتجفت أقدامي ولم تقو على حملي، فتحت الباب على وجه شائه تساقطت براءته وإهترأ جماله، القت بنفسها في صدري حتى كادت تسقطني أرضا دخلت مسرعة وكأنها ما غادرت إلا دقائق، مدت يدها تغلق النافذة تلومنى برفق فهي تخشى علي من البرد، القيت نظرة أخيرة إلى النعناع الذابل من خلف الزجاج ما أشبهه بقوامها، صمتت أصوات العصافير وهطل المطر فنامت على فخذي كقطة عجوز..

الرحلة

أخلاط من الحزن والسرور تكتنف وجهي الأسمر الصغير، فلم يأبه أبي بتوسلاتي أن يتركني واقفا بين الأقدام الطويلة كي أمتع عيني بإختلاس النظر إلى الحقول وهي تجرى للخلف كبساط أخضر، ولكنه أصر أن يرفعني علي حامل الأمتعة الخشبي، فما عدت أسمع إلا صوت إصطكاك العجلات بفواصل القضبان ولا تبصر عيناي إلا قبة السقف المدهونة بالأتربة و ذكريات العابثين التي تخطها أيديهم عندما يختلون بالقطار في مواعيد المساء، تركت عقلي لخياله يوم أكبر وأكون معهم فى قطار المساء شحيح الركاب الخالي من الآباء والأمهات، بلا أوامر ولا نواهي كي ألتصق بوجهي في زجاج النافذة لأبصر الجداول والحقول وأعمدة البرق الخشبية وهى تجرى للوراء وتحصيها ذاكرتي، أقفز علي حامل الأمتعة وحدي دون عون من ساعد أبوي، لأدون ما في ذاكرتي من أرقام وأسماء- أرقام الأعمدة وأعداد شجر الجازورينا وإسم أبي كاملا وأسم أول فتاة لعبت معها بالسبع حصيات-، كلما تلوى القطار على التحويلة مد أبي كفه الكبير

يدفعني للداخل كي يحميني من إحتمالية السقوط، أحيل خيالي إلى خيال آخر أرى فيه القطار وكأنه أفعى عملاقة قادمة من المدينة كي تلتهم القرى بدخان وأتربة وضجيج يفزع اعشاش اليمام، هل حقا ستكون الحياة في القرية أكثر دفئا وامانا كما أخبرني أبي؟ أتذكر ضحكته الساخرة حين سألته: هل سأجد هناك أصدقاء وصديقات يعوضونني عما تركت هنا؟ فضحك حتى إحمر وجهه يقول: أصدقاء نعم أما صديقات يجوز، فإن أول صديقة عرفتها كانت أمك، ثم غاصا في بحر من الضحك سويا وتركاني واجما، وكيف توقف الضحك حين قلت هل العودة إلى القرية قدر حتمي؟ لم يلتفت إلي وإنما قال مخاطبا أمي: هيا أسرعوا كي نلحق قطار الظهيرة تبخر خيط أحلامي حين جذبني أبي هابطا بي بين كفيه مثل دميه، كاد قلبي يسيل فرحا حين تبينت خلو المقعد المتاخم لمقعد أمي، فقد نزلت السيدة السمينة يبدو أن الاهتزازة التى إعترت القطار كانت لذلك، حان وقت جلوسي بين أبي وأمي، ارقب النافذة وما خلفها من عوالم شهيه، أطفال ملطخة أقدامهم الحافية بطين الحقول الممزوج ببقايا الأعشاب المهروسة، رجال تنحسر ثيابهم على أقدام سمراء شديدة يقذفون البذور نحو الأرض الرطبة، أصغي بين الحين والآخر إلى احاديث أبي مع رب العائلة التي تملأ المقعد

المقابل حتى ظننت أنه يعرفهم وخصوصا حين ذكرا أن الرجل الذي كان سببا فى نزوحنا جميعا من المدينه إلى القرية له إسم واحد (ممدوح سالم)، فعلمت من حديثهما السبب، ثم تأكدت فيما بعد أنه كان قدرا حتميا أكبر من مقدرة أبي..

تاجر الروبابيكيا

ليلة مملة .. التلفاز يعلن خطاباً حماسياً، والشارع يعج بأصوات مشجعي الكرة، يبدو أنها مباراة هامة؛ كلما رفعت صوت التلفاز لم أسمع، الملل يزداد؛ صخب في الشارع ووحدة في البيت، أين أصدقاء المقهي؟ إنشغلوا وتاه كل واحد منهم في طريق لقمة العيش داخل أو خارج البلاد؛ حتى شلة السوء إنفرط عقدها يا أبي؛ ضحكت حين تذكرت ملامحه وهو يقولها بحنق: الشلة دي هتضيعك.. لم أفهم ولم أسأل بلم أو كيف، ليتك حي يا أبي كي ترى أن الجميع بالفعل قد ضاعوا في دهاليز الدنيا، كلما هدأ صوت الشارع زاد الحماس في الخطاب؛ يبدو أن حنجرة الخطيب مربوطة باقدام الفريق الآخر، رفعت أصوات ضحكاتي كي أسلي ليلتي، تصفحت قائمة التلفاز كرة وخطابات وأغاني هابطة، قمت أتجول في أرجاء البيت بلا هدف، شربت شاياً كثيراً، لعبت الشطرنج وحدي وكل مرة أفوز وأخسر، ليس لي في الكرة ولا الخطابات يا ناس ماذا أفعل؟ مللت النوم والخروج،إن للوحدة أزيزا يؤلم أذني، فلم يطرق بابي منذ

أعوام إلا بائع الروبابيكيا الذي طلبت منه أن يوفيني بكل قديم حتى لو كان مذياعاً معطلاً، ومنذ ذلك اليوم وقد صارت شقتي مثل سوق الأربعاء، رن جرس الباب يبدو أنه هو.. أسرعت كي أدرك أن الطارق بالفعل قادم من الماضي ولكنه ليس تاجره، إنها جارتي الحسناء لم تتغير نظراتها البريئة ولا طلباتها المصطنعة، لقد عادت أخيراً، بعد غياب دام لسنوات، منذ أن تزوجت وسافرت مع زوجها الخليجي، الذي لم يقطف منها إلا تفاح خديها وإبتسامتها، ولم يمنحها سوي بطنا ممدودة للأمام وكأنها تحوي وعلاً برياً، طلبت أن تقترض من عندي مشابك إضافية فقد نفذت مشابكها والغسيل كثير، فأحضرت لها كيساً كبيراً مكتظاً؛ فليس لي حاجه بها فأنا أرسل ملابسي للمغسلة، ظلت تحصيها وقتاً حتي تتمكن من إعادتها كاملة فنصحتها أن لا تشغل بالها بالعدد فإنها مديونة لي بمشابك كثيرة، فضحكت وقالت: يوه.. أما زلت تذكر

فقلت: لا يمكن أن أنسي ولكنى أسامح.. فقالت: وهل يمكن أن تسامح الآن؟ قالتها وكأنها تشير إلى بطنها وفي عينيها دمعة مجهده.. فقلت: كيف لأسرة مثلكم أن يكون لها كل هذا الكم من الغسيل؟ فقالت: أنا وحيده فعلاً ولكن معي أربعة من

الأولاد فأهل الخليج لا يحددون النسل.. ثم ضحكت ضحكة ساخرة، وقالت وكأنها تغير الموضوع: هل سمعت خطاب اليوم؟.. فقلت:أي خطاب؟ هل صدر قانون يحرم تجارة الرقيق؟.. فأدارت وجهها وغادرت مسرعة حين سمعت أقدام ثقيلة تقترب، أغلقت الباب علي بقايا طيفهما ومازال صوت المشجعين ينفذ من الخارج عالياً: والله الحكم دا مرتشي..

مجرد حصاه

حينما تأكدت أن سحب النوم قد إبتلعته تماما، إنسحبت من تحت اللحاف بنعومة ورل، إرتدت ثيابها على مهل بعدما نفضت من فوقها رائحته تتحرك باقدام ثابتة فهي تعلم بيقين أن جرعة العشق التي منحته إياها كفيلة بأن تدخله في غيبوبة طويلة، دارت دورتها تفتش بين مختبئات حجرته، أخذت من حافظته ما يكفيها من أموال، هبطت درج البنسيون العتيق خارجة نحو الشارع، طرقات أقدامها على الرصيف تبعث الشغف في الألسن و العيون ولكنها تميل بناظريها نحو الأرض في حياء أنثي، حتي بلغت المقصف المتفق عليه جلست علي طاولة نائية تحتسي قهوتها المعتادة تعيد على قلبها كلماته العاشقة وأغنيات ليلته الهادئة، تتسائل: ما بالي الليلة متأثرة هكذا وكأنني أحببته فعلا؟ ليس فيه ما هو مختلف إلا بعضا من صدق، إنتطرت كثيرا؛ ثم رفعت عينيها في ملل ولما أبصرت صاحب المعطف البني يتجه نحوها إطمئنت، فقد دنا وقت الرحيل، قامت تتحرك أمامه بجوار حائط الكورنيش فادركها بعدما

جال بنظره يدور بالمكان مثل صقر مدرب، فتوقفت وأعطته المظروف المغلق، فقال: كل الأوراق والصور ومواد الكاميرا؟ قالت: نعم بل والكاميرا نفسها؛ هل تسمح لي بسؤال ماذا سيحدث معه؟ قال ببرود: هذه أول مرة تسألي وهذا مؤشر خطير

عادت بعينيها إلى الأرض تحصى قطع الحصي المنثورة بينهما ثم اعتذرت وهي تتسلم المظروف الممتلئ، اومأ لها برأسه وسار متما طريقه، القت عليه نظرة مبتورة وهو يتحدث إلى فتاة أخرى ترتكز على نفس الحائط، هوت على ركبتيها تلملم الحصي لتملأ به جيب سترتها ثم تقفز في النهر..

الحصار

استيقظت من نومي مضطربا ويداي ترتعدان على كوب الماء الموضوع على المنضدة بجواري. ما هذا الكابوس المخيف . كم مرة يقولون لي لا تأكل كثيرا في العشاء ...

إن صوت المزمار ما زال يدوي في أذني والدف يطرق وكأنه يطرق حولي الآن وحتى ذلك الرجل الذي كان يتطوح يمينا ويسارا يتحرك أمام عيني على الستائر البيضاء . وكأنه حقيقة وليس حلماً مزعجاً

ولا أنسى وجهه الذي يحمل عليه فظاظة كأنما استقاها من جهنم ما هذا؟ إن صوتي قد تحشرج وأشعر بالألم في حنجرتي وكأنى كنت أصرخ صراخا واقعياً ولكن كيف؟ إنني لو ارتفع صوتي قليلاً لاستيقظ البيت كله حاولت النوم مرة أخرى ولكن جفوني لم تطبق على عينين متحجرتين كالصخر وعقلي يدور والفكر يمرق في خلاياه ماذا وراء هذا الحلم العجيب؟؟ وما الذي قذفه في عقلي

الباطن إنني لم أحضر زاراً في حياتي ولم أر أي إنسان ممن رأيتهم في هذا الحلم حتى يستقر في عقلي وإن كان هناك ملامح مختلطة في بعضهم أعرفها بعض الشيء إلام يشير هذا الزار ؟؟ الذي يترك الناس كل شيء من أجله ويتجمعون في حلقته يهزون أجسادهم ويبعثرون شعورهم وكأنهم من أهل الجان وهذا الرجل الذي يتلوى المزمار في يده وكأنه الثعبان أجلس وحدي على باب خيمة هائلة وكأنني حارسها أوقد النار حتى أتدفأ والكل من حولي يتدافع إلى الزار المقام هناك على مرمى النظر حتى ذلك الرجل ذو اللحية الكثيفة السوداء الذي يحمل في يده المسبحة تتراقص حباتها على دقات الدف ورقصات المزمار ذهب إليهم هو الآخر وجلس يذكر تعاويذاً غريبة لم أذكر منها حرفاً . خوت الخيام من حولي ولا يوجد سواي أعاني وحدتي حول النار والبرد الشديد وفجأة هجم أناس يحملون السيوف اللامعة ويركبون الخيول السريعة تتحرك كالبرق الخاطف ولكنها ليست خيولا عربية وجوهم تشبه وجود الهنود الحمر ويرتدون زيا مشابهاً لهم كيف علموا هذا التوقيت ؟ كيف اختاروا الوقت؟ أم أنهم من حددوه ؟! وفجأة شقوا الخيام وساقوا الإبل والأنعام وأخرجوا كل النساء من الخبايا سبايا كيف تكون حرباً وأنا الجندي الوحيد في مواجهة هذا الطوفان أعزل بلا

سلاح وكل الرجال مشغولون بالزار والأطفال تعوي بجواري هل أدفع بنفسي إلى الموت أم أتخاذل ؟ وأضع رأسي في الرمال لم أفكر طويلاً اندفعت طاوياً الرمال إلى الزار أصرخ بأعلى صوتي "يا أهل الحي. إن الحي قد نسف . نساؤكم سبايا . وأطفالكم ضحايا . وسيوفكم في أغمادها" . لكن لا جدوى المنشد يردد ترانيمه والرجل ذو اللحية السوداء حول مائدة النار يمرر يده عليها فتزداد سعاراً فيضحك ويصفق كالمعتوه . وأصوات المزمار والطبول العتيقة تلتهم صوتي المبحوح أعاود الصراخ بألف حنجرة ولكن الآذان قد صمت والنخوة البدوية المعهودة ماتت والطبل والزمر مستمران وفجأة يصمت الجميع ليس من تأثير صوتي ولكن على صوت صهيل وصليل يحيطان بالمكان وطبق صدري وكأن صخرة عملاقة وقعت عليه وأحسست أن يداً غليظة تمتد إلى عنقي تخنقني كأني أتنفس من ثقب إبرة فصرخت صرخة أخيرة مكبوتة -كانت صرخة الحياة بالنسبة لي- حينما أفقت على حجرة نومي كما هي ولا أثر للصهيل والصليل إلا داخلي

طيف عابر

عادت إلي منزلها ترفرف بجناحي طائر سعيد، ولما لا وقد وجدت ضالتها المنشودة في وقت كفت فيه عن البحث، حتى أنها كانت قد نسيت أنوثتها وتركتها تذبل لسنوات عديدة بلا ري، عاشت دور الأم والأب والموظفة الجادة، ألقت بجسدها على الفراش تكرر شريط عمرها، ثم قالت لنفسها: ولما لا يكون القدر قد أرسل لهذه الروح المشققة من يرممها، قامت تبدل ملابسها وأمام المرآه تحسست بقايا الأنثي التى إختفت تحت أنقاض الألم والمسئولية، إستدارت تبحث فى كراكيبها القديمة عن أدوات زينتها، فكرت أن تبحث الأمر مع امها ولكنها عدلت؛ كي تتمتع بتلك اللحظة كاملة دون الدخول قالب من توجيهات لا تعترف بقطار مضي وشعر شاب، صبغت شعرها بالحناء، نمقت الوجه بالمساحيق، فبدا كما كان بعدما إستلب نضارته من قبضه هذا الزمن القاسي، ليعود بها فتاة بجدائل منسابة على جانبي رأسها، كلما حركتها حيوية الخطو داعبت أطرافها منبت العنق، فإرتعد لمشهدها جسد الرائي ومالت عينه..

تتحسس مرتفعات جسدها بأنامل رحالة يستكشف قارة موحشة ليحيلها خضرة ونماء، الوقت يمضى والتسويف لا يفيد، لأول مرة لا تتأمل وجه طفلتها النائمة كي لا يثني ذلك عزمها، قطعت خيط أحلامها رنات متتالية من هاتفها قلبته كي يقل إزعاجه ثم نظرت فإذا هو إسمه تساءلت وهي تفتح الخط: كيف علم أنني أفكر فيه.. أرادت أن تقول حبيبى ولكن الخجل منعها فلم تفعل، سمعت صوتا أخر، يخبرها أنه شرطى المشفى وصاحب هذا الهاتف مريض وتم نقله وأن رقمها هو الرقم الوحيد في حافظة هاتفه، قالت بقلب يأكله الخوف: حادث؟ قال لا، ازمه قلبية متوقعة في مثل هذا السن، أسرعت عائده إلى ملابسها، خرجت يقودها الخوف والرجاء حتى أنها لم تذكر هل ردت على أمها حين سألتها عن وجهتها أم لا؟ ولم ترد على الهاتف طول الطريق.. أمها... أخيها .. ماذا أقول لكم يا ناس؟ ذاهبة للإطمئنان على عمري الذي لم تدركوه معي

لمة العائلة

في منتصف الحلقة من الأحفاد في وسط الدار القديمة يجلس الجد بعباءته البنيه اللون ويسند ظهره المجهد على جدار منزلنا الأكثر إجهاداً فقد وجد قبل الجد بأعوام كثيرة علامات الزمن ترسم عليه دوائر من التآكل ولكنه مازال صلباً كصلابه جدى هاهى اللمه كعادتها كل يوم ولم يتغير فيها إلا انا فقد قررت ان أتمرد على عادات العائلة الباليه بأن الإقتراب من الجد بأقدمية السن فظللت أقترب شيئا فشيئا حتى صرت تحت أقدامه والأكثر من ذلك أننى استطعت أن أتحسس أطراف عباءته بيدي ملمسها كما هو منذ ان ولدت وتلقفني فيها فأنا أشعر بهذا الملمس في تكويني لأنه أول شيء إحتواني بعد رحم أمي فنظر إلى بفطنه بالغه وكأنه قرأ كل ما يدور في عقلي الصغير فمد إلى يده ورفعني وإحتواني بضمة في صدره كما لم يضمني من قبل قائلا بلهجته الساخرة _آخر العنقود سكر معقود _ ثم أعادني الى الحصير برقه وشعرت بذلك أننى قد فزت بمكان لن يبعدني منه أحد وذلك بعد حرب من التسلل ما أجمل أن تتمرد وتفوز

وعدت أعبث بأطراف العباءة بكفى الصغير واستمع اليه بأذني وعقلي..

(2)

الجد يجلس على دكه النورج العتيقة ونحن حوله ولكنى أرى أن اللمة يعتريها بعض الفتور فالجد صامت ينتظر الانتباه إلى حضوره الذى سبق الجلوس بوقت غير قصير ولكن أنامل الأحفاد مازالت تعبث على شاشات هواتفهم المحمولة وكعادتي أنا دونهم جميعا ألقى بكلتا عيناي صوب الجد وكأنى أرجوه أن يبدأ حديثه اليومي ولكن الصمت يخيم على المشهد بأكمله وعلامات الامتعاض على وجه الجد وكأنها تحاول بالكاد أن تعبر عن صراع قام بالفعل بين القديم والحديث وخارج كل هذا الصراع أكون أنا فقد اخترت لنفسي منذ اليوم الأول لميلادي أن أصير جسرا بين كل الأزمنة والثقافات . فها هو نظري مستعد للانبهار

بالحكاية التي لم تبدأ بعد بخلاف باقي الأحفاد اللذين تراهم وكأنهم اجتمعوا اليوم رغما عنهم فقط كي تكتمل بهم اللمة غير عابئين بتعقد المشهد من حولهم فكم تمنيت لو دسوا تلك الأجهزة اللعينة في جيوبهم كي يستمر اليوم كالمعتاد ويقطع الصمت كله كلمه واحده من الجد بصوت حاد يغيب عنه حنانه المعهود

-- أنتم بتعملوا إيه ؟؟

ورد أكبرنا

- داخلين على النت يا جدو . وأي سؤال هتسأله ليه إجابات على جوجل .

فقال الجد

- إبحثوا على جوجل عن جدكم ولمه رمضان .. تصبحون على خير

ثم قام الجد منتفضا كالملسوع الى أن ولج إلى حجرته وألقى بجسده على السرير القديم وجذب الملاءة على نصفه السفلى وأنا أتابعه بناظري ولكن الخوف اللعين منعني من أن أمضى خلفه وأتوسل إليه أن يتابع حكايات اللمة من أجلى

. فتركتهم أنا الآخر وألقيت بجسدي الصغير في سريري وجذبت الملاءة على نصفى الأسفل تماما كما فعل الجد وذهبت في سبات عميق..

(3)

وما ان انبلج ضوء الصباح حتى ذهبت مسرعا الى حجره الجد علني استرضيه بكلمات رقيقه تنسيه ما حدث بالأمس أو اتوسل اليه أن ينسى افعال الكبار من احفاده فانا اعرف انى اقرب الاحفاد اليه وبشهادته فطرقت بابه طرقا خفيفا ولكنه لم يرد فكررتها حتى قالت لي أمي (اترك جدك نائما فاليوم طويل والصيام مرهق جدا بالنسبة له حرام عليك) ..

فجلست على باب الحجرة وكأننى درويش على باب ولى ينتظر القبول أقرض أظافري فأتذكر انى صائم فاستغفر واعود للإنتظار..

فلما طال الإنتظار جذبت قطعه من الحصير كانت مسنودة على الحائط وافترشتها امام الباب ونمت عليها ..

لأستيقظ على صوت أمي ولهزاتها في كتفي .. (يا بنى قوم جدك لو خرج هيدوس عليك وانت نايم ع العتبة كده قوم صلى الضهر وصحى جدك يصلى)

فرحت أنها أذنت لي بإيقاظه فدفعت الباب على الفور واذا بي أجده كما هو على السرير نائما على ظهره والملاءة تغطى نصفه الأسفل حتى الناموسية لم يجذبها على أعمدة السرير كعادته،

فناديت عليه برفق فلم يستجب فحركته بيدي ولكن هيهات أن تحركه يدى الصغيرة

فألقيت بنفسي كاملا فوق صدره كالمعتاد أناشده الاستيقاظ .. جدى منذ متى ونومك ثقيل هكذا ولكن لا فائدة فصرخت (أمى جدى لا يستيقظ) فدخلت على الفور ورفعت يده وتحسست نبض شرايينه ثم بكت ثم صرخت ثم جاء كل من بالدار ومن بخارج الدار من الاهل والجيران وكلهم يحاولون إخراجي من الحجرة ولكنى أرفض وأرتمى في احضان جدى النائم: استيقظ يا جدى انا حبيبك آخر العنقود سكر معقود قم وقلها لي كعادتك .... اليوم الوحيد الذى لم أخشى عليه الموت يموت فيه ... وبعدها أستجيب لمحاولات

الأهل والجيران وأخرج من الحجرة طائعا فاجد الحصيرة مكان مرقدي على باب الجد قد داستها الاقدام المهرولة فاجمعها وانفض عنها غبار الأحذية وافترشها في وسط الدار مكان التجمع المسائي للمه واجلس عليها بمفردي ارنو الى الأواني النحاسية المعباءه بالمياه التي تدخل وتخرج من حجره جدى ونساء العائلة تبكى وتتشح بالسواد ورجال العائلة في شغل ونشاط مع حزن والم.

(4)

ها هو التجمع يزداد في صحن دارنا القديمة بشكل كبير وبطريقه تختلف عن كل يوم اختلاف لا يستوعبه عقلي الصغير . - لمه بلا بطل - الكل جلوس إلا من كانوا يجلسون سابقا وقوف . وعيونهم دامعه وابدانهم مرتعشة ولكن لابد أن يبدو عليهم التماسك امام أعين الناس . وتلاوة القرآن المنبعثة من تسجيلات قديمة لقراء مصر الراحلين تحيط المكان بالهدوء والسكينة . وتلقى في رأسي فكره تلمع وتختفى مع لمعان واختفاء الأضواء المنبعثة من الكاسيت كل هؤلاء القراء العظماء ماتوا وبقيت أعمالهم وسيرهم

العطرة وأصواتهم مازالت حيه حتى الان . إلا انت يا جدى الحبيب ليس لك صوت مسجل ولا فيديو مصور اللهم إلا صورا فتوغرافية قديمة تتوسط الجدار ولكنك عظيم مثلهم .ولكن روحك الجميلة وحكاياتك محفوره على جدران عقلي لابد أنني سأنقلها عنك لأولادي .ألقى بنظري على دكه النورج القديمة مكان مجلسه وقت اللمة وكذلك مكان قيلولته حين يفر من حراره الجو في حجرته الضيقة كما ألقى نظره سريعة على مكاني الذى جلست فيه يوم تمردي الأول وقد داسه المشيعين بأقدامهم المهرولة والمعزين بأحذيتهم اللامعة . ما أقسى الحياه بدون الجد . كل هذا يدور في عقلي في لحظه بريق الدمعة في عيني حتى أفيق على قبله فوق جبيني من أحد الحيران وهو يقول لا تحزن يا حبيبي فالبقاء لله . ظنا منه انه بتلك الكلمات قد أزال أثر الحزن من قلبي فتبسمت ابتسامه ممزوجة بدموعي قائلا ونعم بالله ... وألقيت سمعي وبصرى مره اخرى على صوت محمد رفعت وهو يقرأ في سوره الكهف وسبحت معه في بحار الآيات أتذكر جدى وهو يحكى قصتهم ويضاحكني ..أول يوم من أيامى بعدما انفرط عقد اللمة كان قاسيا ولكننى كنت أعزى نفسى بكلمات الجد أن الإنسان خلق من النسيان وأنه لابد للحياة أن تستمر وللراية أن تتسلم من جيل إلى جيل..

<u>السيرة الذاتية للأديب</u>



إبراهيم معوض أحمد السيد..

يقطن: طوخ دلكا / تلا / المنوفية..

عضو نادي أدب شبين الكوم

فائز بجائزة النشر الإقليمي لعام 2019/2018 عن مجموعته القصصية الأولى بعنوان (خارج حدود الرؤية)

<u>أعمال تحت الطبع</u>

الدائرة المغلقة (رواية)

النورج والكتاب (رواية)

محتوى الكتاب